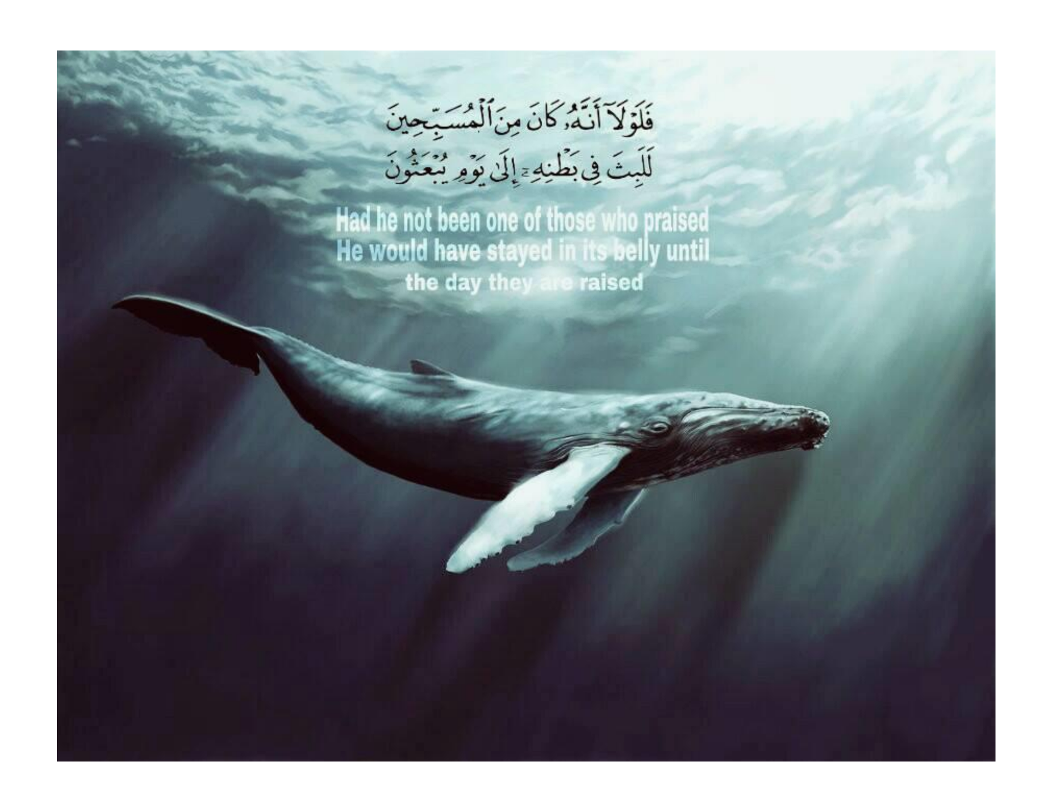
قصة يونس عليه السلام ؛ ذا النون .



هو يونس بن متّى ذو النون من ولد بنيامين بن يعقوب ؛ ذكر ابن الأثير أن (متّى) هو اسم أمّه ، وذكر الجوزي أن متّى هو اسم أبيه وهو الأصح .

ذا النون : أي صاحب الحوت ، ذكره الله في القرآن باسمه الصريح ٤ مرات ومرّتين بلقبه ؛ ﴿ وَذا النونِ ؛ صاحب الحوت ﴾ ؛ وتسمّت إحدى سور القرآن باسمه .

أرسله الله إلى قوم (نينوى) في العراق وكانوا حينها كافرين مشركين بالله.
توضيح : رسالة كل الأنبياء واحدة وهي إخراج الناس من الشرك إلى التوحيد .

غضب يونس على قومه لكفرهم فأمهلهم ثلاث أيام إذا لم ينتهوا .
استطراد : غضب الأنبياء على أقوامهم إنما غضب لإنتهاك حُرمة الله لا غضباً لأنفسهم .

بعدما أنذرهم بقرب عذاب الله إن لم يتوبوا ؛ ظهرت لهم مقدّمات هذا النذير ؛ أظلمت السماء بالغيوم المُلبّدة فخافوا وندموا وتابوا فاستجاب الله لهم .

﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلّا قوم يونس ﴾ ؛ أي لولا توبتهم لحلّ بهم العذاب ﴿ إلّا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي ﴾ .

﴿ فمتعناهم إلى حين ﴾ ؛ فيها قولان ، الأول : أن العذاب تأجّل للآخرة ، القول الثاني : قبِل الله توبتهم وعفا عنهم في الدنيا والآخرة وهي الأصل .

خرج يونس عليه السلام من قومه بعد وعد الـ ٣ أيام وانقطعت أخباره عنهم وأخبارهم عنه ، فركب سفينة وكانوا في وسط البحر فخشوا الغرق من ثقل الحمولة .

وحتى يُتم الله أمره ، ألهمهم الله وهيأ الأسباب لأن يقوموا بالقرعة حتى يتخلصوا من الغرق ، فوقعت على يونس وهنا بدأت قصة يونس والظلمات الثلاث.

﴿ فساهَم فكان من المُدحضين ﴾ : أي وضع له رمزاً حتى يتميز كل شخص عن الآخر في القرعة ، فوقعت القرعة التي إتّفق عليها أهل السفينة على يونس .

حينما وقعت القرعة عليه تجهّز لإلقاء نفسه فمنعوه لأحد أمرين ؛ قيل لعلمهم بمكانته ، وقيل لأنه غريبٌ عنهم ، فأعادوا القرعة ثلاثاً وكلها وقعت عليه .

﴿ وهو مُليم ﴾ ؛ مُليم أي مُذنب وهنا نرجع لقوله تعالى :
﴿إذ أبَقَ إلى الفُلك﴾ : أبق أي هرب من قومه ، وهنا عاتبه الله لعدم استئذانه الله الخروج.

لما خرج يونس من قومه دون استئذان الله ، إبتلاه الله في خبر السفينة والبحر؛ ﴿ إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت ﴾ .

تنبيه : عتاب الله ليونس بخروجه من قومه دون إستئذان إنما هو عتاب من الله له فلا يجوز لبشر التنقيص من قدره ،كما عاتب الله النبي - عليه الصلاة والسلام - في خبر زوجاته .

﴿ فالتقمه الحوت ﴾ سخّر الله الحوت أن يحوم حول السفينة حتى يُتِم أمره وحكمته في يونس عليه السلام ، التقمه الحوت وغطس فيه بأعماق البحر .

من رحمة الله بيونس عليه السلام أن الله أمر الحوت أن لا يؤذيه بل حتى لا يخدِش فيها شيئاً ، فأسمعه الله تسبيح مخلوقات البحر حتى يعلم عظمة الله .

لمّا سمع يونس تسبيح مخلوقات البحر خرّ لله ساجداً واتخذ من بطن الحوت مسجداً ؛ وقال : " يارب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يعبدك أحدٌ في مثله ".

﴿ وظنّ أن لن نقدر عليه ﴾ ؛ لها معنيان ؛ أولهما : أي لن نُضيّق عليه في معيشته وحاله، والمعنى الآخر : من القضاء والقدر، أي: لم يُقدّر له ما حصل.

﴿ فنادى في الظلمات ﴾ ؛ كانت ليونس عليه السلام ظُلُمَات ثلاث : ظلمة الحوت ، ظلمة البحر ، ظلمة الليل ؛ ﴿ فظنّ أن لن نقدِر عليه ﴾ .

لمّا ضاق به الحال وعلم مقدار تقصيره مع الله ، قال دعواتٍ صدحت في أعماق البحار حتى لامست السماء ؛ ﴿ لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ .

استطراد : مرّ سعد بن أبي وقاص على عثمان فسلّم عليه ولم يرد عثمان السلام فاشتكى سعد لعمر ذلك ، فقال عُثمان بلى لكنني كنت أحدث نفسي بكلمة أغشتني .

قال سعد ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : دعوة ذا النون ؛ " لا إله إلّا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " ، فإنه لم يدعو بها مسلم ربّه في شيء قط إلّا استجاب له .

نجّى يونس من البحر عمله الصالح في الرخاء ؛ ﴿ فلولا أنه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ .
العمل الصالح خير ما تستجلب به رحمة الله.

بعدما دعى يونس بدعوته أنجاه الله ﴿ فاستجبنا له ونجّيناه من الغم وكذلك نُنجي المؤمنين ﴾ .
فائدة : الإيمان بالله سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.

ثم ألقاه الحوت على الشاطئ وكان حينها سقيماً ، وأقرب الأقوال أنه لبث في بطن الحوت ٣-٧ أيام والله أعلم
واستدل العلماء على ذلك بـ ﴿ وهو سقيم ﴾ .

بعدما ألقاه الحوت على الشاطئ رزقه الله نبات اليقطين وفي ذلك أكثر من تفسير ، فيه قد تكون نبات اليقطين وقد تشمل جميع النباتات الغير سُوقية .

ختاماً ، رجع يونس إلى قومه وفرِح بما هم عليه من إيمان وتوحيد ؛ كانت هذه قصة يونس عليه السلام ؛ أسأل الله أن ينفعنا بما علّمنا .